الباب الثالث

قضايا إسلامية معاصرة

- أوطان سليبة.
- أوطان تجاهد.
- أوطان يتهددها الخطر.

تقـــدمة

هذا الباب – لعمر الحق – أخطر الأبوب . . .

لأنه يعرض لقضايا العصر . . من حاضر العالم الإسلامى . . بعد أن عرفنا خطوطه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . .

ولا نريد أن نستبق العرض . . ولا أن نتعجل النتيجة قبل المقدمة .

ولا نريد كذلك أن نعرض لكل العالم الإسلامى . . وإلا فإن لكل وطن فيه قضية .

لكنا نكتفى . . بنماذج .

النموذج الأول من الأوطان السليبة . . ونكتفى فيه بالأندلس ثم بفلسطين ثم أرض المسلمين تحت النفوذ الشيوعى .

النموذج الثانى لأوطان تجاهد . . مثل أفغانستان ثم ارتريا ثم عذراء ماليزيا (الفلبين) .

النموذج الثالث لأوطان يجرى التآمر عليها . . لتلحق الأوطان السليبة . . مثل أندونيسيا، سوريا، مصر . .

والله المستعان . .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

* * *

الأندلس (فردوس المسلمين المفقود)

الفصل الأول

أوطان سليبة

● **تقدمة :**

الأوطان السليبة كثيرة . . فى المشرق والمغرب . .

بدأت بالأندلس . . وانتهت بفلسطين . . وقد تلحق بها غيرها إذا بقى المسلمون على حاضرهم الأليم .

بيد أنا لا نستطيع أن نلم بها جميعا . . ومن ثم فإننا نكتفى بالأندلس ثم فلسطين ثم الأرض السليبة تحت النفوذ الشيوعى .

ففى الأولى عمل التآمر الصليبى .

وفى الأخيرة عمل التآمر الشيوعى .

وفى الوسطى التقى التآمر الصليبى مع التآمر الصهيونى الحاقد .

* * *

المبحث الأول

الأنـــدلس

● **تقدمة :**

فى نهاية القرن الأول الهجرى، فتحت الأندلس، فردوس الدنيا، فتحت بسواعد المسلمين ودمائهم، وجهادهم، ومثلت فيها أعظم حضارة عرفها التاريخ، بينما أوربا تغرق فى ظلمات القرون الوسطى.

وبقى حكم الإسلام ثمانية قرون، تغترف فيها أوربا من حضارة الإسلام وتتلمذ على أساتذته، ثم ضاعت الأندلس، ضاع فردوس الدنيا، ضيعها ملوكها، ضيعها الترف، ضيعها الخلاف، ضيعها غزو الفكر قبل السلاح.

وبكى المسلمون الأندلس.

كما بكوا من بعدها أرض بخارى والقرم والقوقاز.

كما بكوا ضياع مهبط الأديان فى فلسطين، وبكوا معها القدس والمسجد الأقصى ﴿ **الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ** ﴾.

ونحن ندرس فى هذه الكلمات الأندلس باعتبارها حاضراً لا ماضيا.

باعتبار حاضراً سليبًا يذكر المسلمين مجدهم ويذكرهم الجهاد لاستعادة فردوسهم المفقود مع استعادة فلسطين والأقصى واستعادة مثوى البخارى ومسلم وغيرهم من علماء المسلمين فى أرض الاتحاد السوفييتى (سابقا) .

ثم لنأخذ العبرة.

كيف كانت الأندلس؟

كيف صارت الأندلس؟

كيف ضاعت الأندلس؟

فنأخذ من الضياع كيف نتوقى الضياع؟

والله المستعان وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم.

أولا : الأندلس قبل الضياع

قبل الضياع فترتان لابد من الإشارة إليهما :

فترة ما قبل الفتح الإسلامى، ثم فترة ما بعد الفتح الإسلامى، ففى الإشارة إليهما عبرة لأولى الألباب .

● الأندلس قبل الفتح الإسلامى :

شبه جزيرة الأندلس (أسبانيا والبرتغال الآن) تقع فى الجنوب الغربى من أوربا، وتحيط بها مياه المحيط من غربها، ومياه البحر الأبيض المتوسط من جنوبها وشرقها، ويفصلها عن المغرب الإسلامى مضيق جبل طارق، وتتحصن بالجبال فى أماكن عديدة . وهى بعد موقعها تتميز بجمال طبيعتها وباعتدال جوها وبخصب أرضها . وقد كانت فى القرون الوسطى – قبل الفتح الإسلامى – تغرق فى ظلمات الجهل والاستبداد والفوارق الاجتماعية، وتحكم الإقطاع والكنيسة .

ولنعلم إلى أى حد انحطت الكنيسة، لنا أن نعلم بعد الذى سقناه أنها كانت تحرم الاغتسال والتطهر ويعتبرون قذارة البدن تسير طرديا مع طهارة الروح، حتى ليفخر أحد رهبانهم بأنه لم يرتكب إثم غسل الرجلين طوال العمر، وحتى ليتندر آخرون بأنهم كان يعدون غسل الوجه حراما – حتى جاء الفتح الإسلامى فصاروا يدخلون الحمامات – ويعتبرون النساء رجسا ولو كنّ أمهات وشقيقات، ومن ثم لا يقتربون منهن، ولا يتحدثون إليهن، ويفرون منهن فرار السليم من الأجرب .

● الأندلس بعد الفتح الإسلامى :

استمر الفتح الإسلامى ما بين عامين وأربعة على اختلاف الروايات وعم النور شبه الجزيرة ودخل الناس طواعية فى دين الله أفواجا . . وشحذ الإسلام الهمم وأنار بعد القلوب العقول، حتى تفتقت عن حضارة لم يعرف لها العالم ولا التاريخ مثيلا . ويكفى أن نعرف أنها أنجبت بفضل الله ونوره :

(أ) أمثال ابن حبان القرطبى، شيخ المؤرخين، وصاحب أحكام القرآن الشهير بتفسير القرطبى، والمقتبس فى أخبار بلاد الأندلس فى عشرة أجزاء وغيرها من المؤلفات .

(ب) ابن خلدون : مؤسس فلسفة التاريخ وعلم الاجتماع وصاحب مقدمة ابن خلدون، وما أعقبها من مجلدات مثل كتاب « المبتدأ والخبر » .

(جـ) ابن حزم (الظاهرى) صاحب كتاب المحلى (٩ أجزاء) والأحكام فى أصول الأحكام فى أصول الفقه، فضلا عن أربعمائة (٤٠٠) مجلد آخر.

(د) أبو القاسم المجريطى الشهير الذى ترجمت كتبه إلى اللاتينية .

وقد كان للمسلمين مراصد فى قرطبة وطليطلة فضلا عن اختراعهم لأنواع من الساعات سميت « الميقاتة » .

(هـ) أبو القاسم الزهراوى الطبيب المسلم الشهير الذى توصل إلى استخراج الحصاة من المثانة أو تفتيتها وإجراء عمليات فى العين، فضلاً عن بقية أفراد عائلة « زهر » التى اشتهرت بالطب رجالاً ونساء .

وفى مجالات أخرى برز المسلمون من أبناء الأندلس المسلم :

ففى مجال الكيمياء : كانوا أول من جعل البارود مادة متفجرة دافقة قابلة لإطلاق القذائف كما وضعوا كثيرا من قواعدها وأصولها التى نقلها عنهم الأوربيون بعد ذلك، وتوصلوا إلى كثير من الصناعات باستعمال المواد الكيماوية فى الطباعة والدباغة وصناعة المعادن .

وفى الفيزياء : وضعوا كثيرا من أسس هذا العلم، كما وضعوا نظرية الجاذبية وتحدثوا عن « المغناطيسية » والبصريات، وغير ذلك .

وفى الجغرافيا والرحلات : ارتادوا البحر والفجاج واستكشفوا الكثير، وكان لهم إنتاج طيب، وظهر منهم أمثال الرازى والبكرى، والعذرى، والإدريسى وابن بطوطة .

وفى التعليم : ظهرت أساليب التعليم، وظهرت الجامعات (جامعة قرطبة، وجامعة غرناطة، وجامعة أشبيليه) ودخلها ليس فقط المسلمون، بل هرع إليها غير المسلمين ينهلون من علمها ويتعلمون منها كيف يتعلمون وكيف يعلمون .

وأخيراً نسوق بعض ما قاله غير المسلمين – والحق ما شهدت به الأعداء – يقول ماك كيب : لم تطلع الشمس على أهنأ وأرغد عيشا، ولا أكثر رغبة فى التمتع بالجمال والعلوم والأعمال المجيدة من عرب الأندلس .

ويقول كذلك: إن العرب الأندلسيين لو نجحوا فى فتح أوربا وبقوا فيها قرنين وأقاموا فيها مدنهم كما فعلوا فى الأندلس لكنا الآن متقدمين خمسة قرون على ما نحن فيه.

ثم يشير إلى إغفال المؤرخين الأوربيين لحضارة الإسلام فى الأندلس ويسوق الأسباب لذلك.

هكذا صارت الأندلس بعد أن فتحها الإسلام وتعرفت على النور وتمضى فى ظلال النور، وتقيم أعظم حضارة عرفها التاريخ، فى كل مجالات العلم، والمعرفة والفن، لولا ما أصابها بعد ذلك فانتقلت إلى دور الفردوس المفقود.

* * *

ثانيًا: الفردوس المفقود

● كيف ضاعت الأندلس؟

حديث الضياع حديث أليم، خاصة إذا كان عن الأندلس فردوس المسلمين، وباب الإسلام إلى أوربا والغرب كله، ثم منارة حضارته إلى العالمين. لكن تشخيص الداء لازم لسلامة الدواء وسلامة الاستشفاء ومن ثم كان لابد من هذا الحديث والأندلس ضاعت يوم ضاع الإسلام فى قلوب أبنائها، ففسد الأمراء، وسكت العلماء، وفسد من بعد هؤلاء وأولئك بقية الناس.

● انهيار داخل النفس:

ودب الترف وسرى فى عروق الحاكمين، وامتد من الحاكمين إلى من يليهم من الطبقات، ومع الترف يكون الفسق ويكون الفجور، وعرفت الأندلس القينات، والغناء وارتخت أعصاب المترفين، وترهلت أجسادهم ونعمت أطرافهم، فلم تعد صالحة للجهاد، ومن ثم توقف الجهاد.

وتنافس الحاكمون فى اقتناء الإماء، وفى التشبيب بالنساء، وفى تشييد القصور، وعرفت قرطبة: الزهراء، والكامل، والجرد، والحائر، والروض، والمعشوق، والمبارك، والرستق، والتاج، وقصر السرور، وانهمك «الناصر» فى عمارة الزهراء حتى ترك الجمعات فرقى الإمام منذر بن سعيد ينذر بالهلاك ويقول: ﴿ **أَتَبْنُونَ**

بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ *وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾

[الشعراء: ١٢٨ - ١٣٥]

ثم نوه بالزهراء وتلا قول الله: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * لا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٩، ١١٠].

وظهر من الحكام من جهر بالمعاصى، والجهر بالمعصية إغراء بها وتحريض عليها، فإن كان الجهر من الحكام فالإغراء أشد والتحريض أعظم، وهكذا يشير المؤرخون إلى الحكم بن هشام ثم إلى ولده عبدالرحمن، وإذا كان الأمر كذلك على مستوى أولى الأمر، فإن السقوط أشد والتتابع بين العامة أفظع وهكذا صدق قول الله: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾ [الاسراء: ١٦] (وفى القراءة الأخرى أمرنا مترفيها - بتشديد الميم، فمع التشديد يكون تشديد الله أشد).

وكان مما صاحب الترف وزكاه على مستوى الجماهير، غزو فكرى حمله المبشرون - وصلوا إلى الألف، وحمله مدرسون فى المدارس - وصلوا إلى ٤٨٥ مدرسا، وحملته كؤوس الخمر ينفق عليها البابا خمسمائة ألف «فلورين» سنويا.

وكان مما صاحبه على مستوى الأمراء مصاهرة النصارى فتزوج أبو الحسن (الغنى بالله) من النصرانية ثريا، وكان يستعين بأهلها (ملوك قشتالة) النصارى على ابن أخيه الزغل، وتتابع من قبله ومن بعده أمراء فى هذا الأمر. ولم يصغوا

لقول الله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾

[آل عمران: ١١٨]

وقوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ ﴾[الممتحنة: ١].

وكان هذا هو عامل الانهيار الأول.. الانهيار داخل النفس. وأعقب ذلك انهيار آخر.

● **انهيار داخل الصف:**

بما أصاب المسلمين فى الأندلس من خلاف وشقاق، كان سببه الاقتتال على الجاه والمنصب، وبدأ أول ما بدأ فى صفوف الأمراء والحاكمين، وامتدت عصبية مقيتة كريهة بين صفوف الفاتحين من قحطانيين وعدنانيين، ومن عرب وبربر، تفجرت القوميات والعصبيات الكريهة تقسم الصف وتفتته وتطمع عدو الله وعدوه.

وعرفت الأندلس الثورات، وعرفت الحروب الداخلية، ومن أسف أن يستعان فيها بالنصارى ضد المسلمين فيضعف الآخرون ويتقوى الأولون، ويقفون متربصين انهيار الدولة الإسلامية هناك وراء الجبال فى الشمال.

ويأتى العامل الثالث والأخير ليجهز على ما بقى.

● **حشود النصارى:**

تأتى حشود النصارى القابعة وراء جبال الشمال، لتجهز على ما بقى من قوة المسلمين فقد فات المسلمين أن يطهروا هذه الجبال ممن قبع وراءها من فلول الأسبان فتقدموا غداة ضعف الدولة وانهيارها ليتسلموا طليطلة من ملكها التافه العاجز المسمى خطأ بالقادر (سنة ١٠٨٦هـ) لتكون هذه أول حملة صليبية يعقبها بثلاثة عشر عاما نزول الحملة الصليبية فى بيت المقدس (١٠٩٩هـ)

وهكذا المسلمون جسد واحد، إذا أصيب فى جانب صار عرضة لأن يصاب فى بقية الجوانب، وهم كالبناء إذا تداعى فى ناحية أمكن أن يسقط فى أخرى.

وفى الخامس عشر من صفر ٦٠٩ هـ (١٢١٢م) دارت آخر معركة بين قوات الموحدين وقوات قشتالة يقودها ألفونسو الثامن، فيهوى علم الموحدين ويرتفع علم الصليبيين، ويذوق المسلمون الإبادة والنفى والهوان، حتى تستأصل شأفتهم فى الفردوس المفقود.

ولأول مرة فى التاريخ يباد شعب بأسره وتخلو الأندلس من أهلها المسلمين، فيروى الثقات أن من قتل ثلاثة ملايين والباقى بين جريح وطريد.

وما يجدون بل ما يجيدون بعدها غير البكاء على الأطلال:

تبكى الحنيفية البيضاء من أسف ... كما بكى لفراق الألف هيمان
على ديار من الإسلام خالية ... قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ... ما فيهن إلا نواقيس وصلبان
حتى المحارب تبكى وهى جامدة ... حتى المنابر ترثى وهى عيدان

* *

أعندكم نبأ من أهل أندلس ... فقد سرى بحديث القوم ركبان
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم ... أسرى وقتلى فما يهتز إنسان
ماذا التقاطع فى الإسلام بينكم ... وأنتم يا عباد الله - إخوان[1]

* * *

ثالثا: الطريق إلى الأندلس

هو الطريق المضاد لطريق الضياع، هو معنويًّا من خلال النفس، أن يعمرها

---

(١) من مرثية أبى البقاء الرشدى فى ضياع الأندلس - نهاية الأندلس - عنان ص ٥٠.

وقد أتيح لكاتب هذه السطور زيارة الأندلس بعد كتابة الكلمات هذه، وبكى مرتين: مرة وهو يؤذن فى المحراب فى المسجد الكبير فى قرطبة، وقد تحول جزء كبير منه إلى كنيسة وارتفعت فيه التماثيل والصلبان، ومرة أخرى وهو يرى الكلاب تدخل المسجد وتمرح فى صحنه ومعها الكاسيات العاريات.. بل العاريات النجسات!

الإسلام والإيمان. وهو إعدادا، من خلال الصف، أن تعود إليه وحدته، فتعود الأمة الواحدة والدولة مسلحة مع الإيمان بما استطاعت من قوة.

وهو استراتيجيا، واجب الصف الإسلامى الأول المرابط هناك فى أرض المغرب الإسلامى، فليس بينها وبين الأندلس غير خطوات.

فلابد أن تعود الأندلس، فردوس الإسلام المفقود، الذى رفرف عليه علم الإسلام ثمانية قرون.

لابد أن تعود الأندلس -أرض المسلمين - والجهاد لعودتها فرض عين تمامًا كالجهاد لاستعادة فلسطين.

* * *

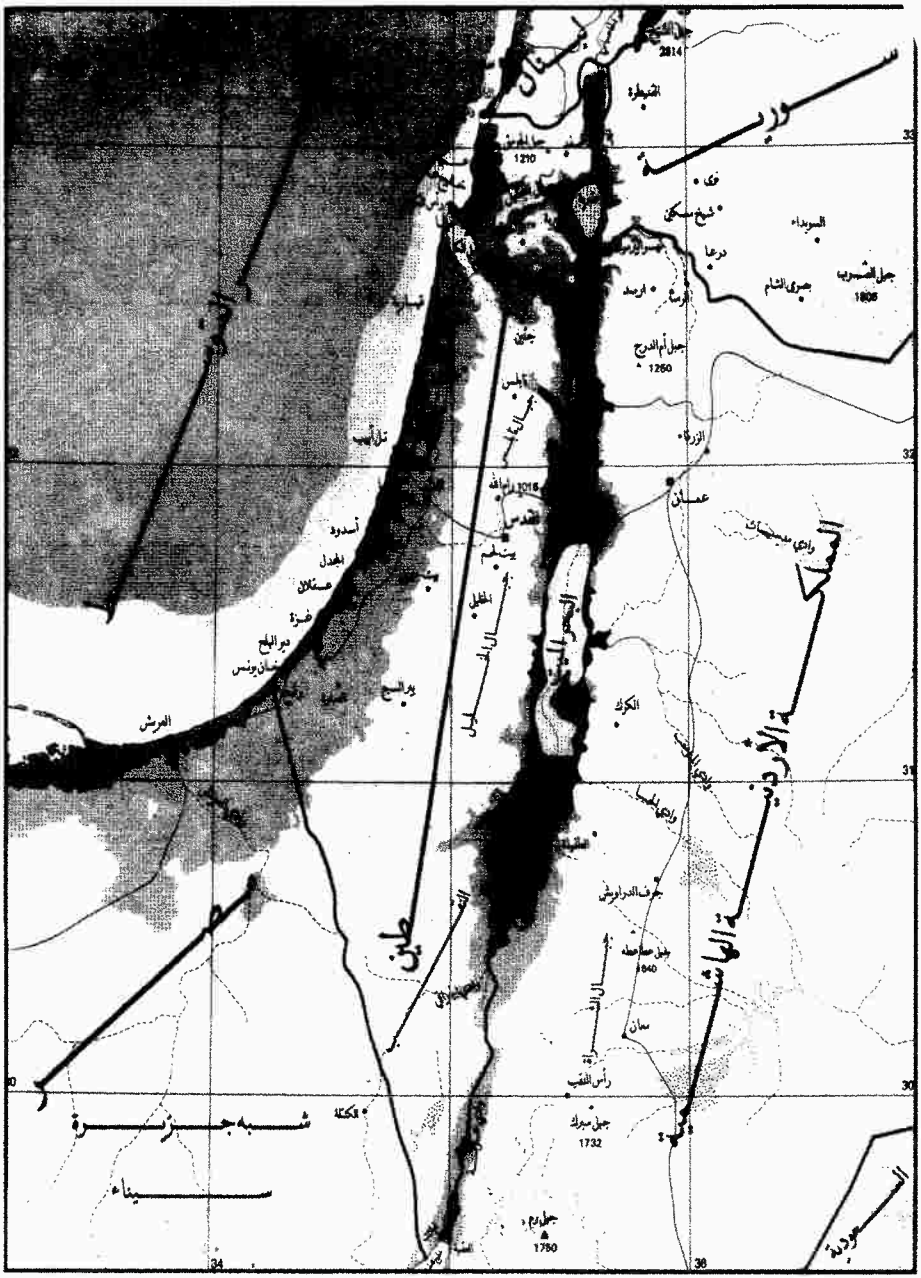
سوريا
لبنان
المملكة الأردنية الهاشمية
فلسطين
شبه جزيرة سيناء
مصر
السعودية
الضبطة
السويداء
درعا
جبل الشيخ
2814
جبل الشريف
1806
جبل أم الدرج
1250
عمان
الكرك
معان
رأس النقب
جبل سيرك
1732
جبل رم
1750
العريش
غزة
دير البلح
خان يونس
أسدود
المجدل
عسقلان
بئر سبع
الخليل
أريحا
القدس
نابلس
جنين
طبرية
الزرقاء
العقبة
الحدود

فلسطين

المبحث الثانى

فلسطين المسلمة

ونحن نتعرض لحاضر فلسطين باعتباره جزءا من حاضر العالم الإسلامى، يشكل قضية ومأساة ولا نتعرض للماضى كتاريخ، وإنما نكتفى بوقائع سريعة فى معرض بياننا كيف استلب الوطن الإسلامى فى فلسطين، ثم نعرض لحاضر فلسطين من الناحيتين السياسية والاجتماعية. ثم نظرة إلى مستقبل فلسطين.

أولاً: كيف استلب الوطن الإسلامى فى فلسطين

(أ) تاريخ:

البعض يرجع ذلك تاريخيا إلى أول مؤتمر صهيونى انعقد فى بال (١٨٩٧م) بزعامة تيودور هرتزل، حيث قرر اتخاذ فلسطين وطنا قوميا لليهود، ووضع التخطيط اللازم للتنفيذ فسار فى خطين: خط دفع اليهود إلى الهجرة إلى فلسطين، وخط البحث عن الشرعية الدولية التى تساعد هذا الاغتصاب أو تستره، وفى الوقت نفسه القوة الدولية التى تحمى هذا الاغتصاب بالقوة وبالشرعية معاً[١].

---

(١) أوضح هرتزل الهدف من المؤتمر بقوله: «نحن هنا لكى نضع حجر الأساس للبيت الذى يؤوى الأمة اليهودية». وتبنى المؤتمر بيانا أكد الغرض الصهيونى بقوله: «أن هدف الصهيونية هو خلق وطن فى فلسطين للشعب اليهودى يضمنه القانون العام» وجرى تعيين أربع وسائل لهذا الغرض:

١ - تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

٢ - تنظيم يهود العالم كافة وربطهم سويا بواسطة الطرق الملائمة.

٣ - تعزيز الشعور والوجدان القومى اليهودى وتنميتهما.

٤ - اتخاذ الخطوات الكفيلة بنيل موافقة حكومية على أهداف الصهيونية (تصريح بلفور فى نظر القانون الدولى).

(د. ت. ماليسون (جونيور) ص ٧٨ من كتاب تهويد فلسطين. المرجع السابق).

●● وتأسس البنك الوطنى اليهودى لهذا الغرض.. وتأسست معه الجمعيات اليهودية العديدة التى تزكى فى اليهود روح الصهيونية[1]. وكان ذلك تنفيذا للخط الأول.. وبدأت الهجرة تسير فى خط بيانى بدأ بعدة آلاف، وانتهى اليوم بأكثر من ثلاثة ملايين نسمة - وفى القدس المدينة الإسلامية - على سبيل المثال -كان عدد السكان اليهود فيها صفر/ سنة ١١٧٠م. فانظر كم صار الآن؟

وبدأ انتزاع الأرض من أيدى أهلها بالإغراء بالمال رغبا.. ثم بالتخويف والبطش بعد ذلك رهبا.

وسار انتزاع الأرض يأخذ الخط البيانى التالى: فى العشرينيات تراوحت ما بين ١٧,٤٩٧ سنة ١٩٢٣ إلى ١٧٦,١٢٤ دونما عام ١٩٢٦، فى الثلاثينيات تراوحت ما بين ١٨,٨٩٣ سنة ١٩٣٢ إلى ٣٦,٩٩١ دونما عام ١٩٣٣[2] إلى ٦٧,١١٤ سنة ١٩٣٥ - فى الأربعينيات، وفى نهاية سنة ١٩٤٦ قدرت السلطات

---

(١) راجع مقال جون رودى حركات استلاب الأرض. تهويد فلسطين ص ١٣٣ - ١٥٤.

(٢) راجع معركة الإسلام -أو وقائعنا فى فلسطين بين الأمس واليوم - الأستاذ محمد محمود الصواف ص ٦٤، وراجع كذلك: العرب واليهود فى الماضى والحاضر والمستقبل للمستشار محمد عبد الرحمن حسين وفيه يشير إلى مقابلة هرتزل للسلطان، ص ٩١. وكذلك:
Esco Foundation Porestiono, Porestine: A study of Seuish Arab and British Poiuies, Zuols (New Heath) 1943, 1947.

وقد كتب هرتزل فى مذكراته يقول: «وضمن هذا النطاق جند العمليون والسياسيون التدخل الدبلوماسى المباشر لدى السلطان بقصد الحصول على اتفاق صريح يتسنى بموجبه قيام استعمار يهودى بفلسطين على نطاق واسع ويتمتع باستقلال ذاتى» - (يوميات هرتزل نيويورك ١٩٥٦ ص ١٠٥) ويذكر هرتزل نص رد السلطان العثمانى عليه فى مذكراته فيقول: «انصحوا الدكتور هرتزل بألا يتخذ خطوات جديدة فى هذا الموضوع لأننى لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض فهى ليست ملك يمينى بل ملك شعبى، وقد ناضل شعبى فى سبيل هذه الأرض ورواها بدمه- وليحتفظ اليهود بملايينهم، وإذا مزقت إمبراطوريتى يوما فإنهم يستطيعون عندئذ أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن، أما وأنا حى فإن عمل مشرط الجراح فى بدنى لأهون على من أن أرى فلسطين قد بترت من إمبراطوريتى وهذا أمر لن يكون لأنى لا أستطيع الموافقة على تشريح أجسادنا ونحن على قيد الحياة».

البريطانية ما يملكه اليهود بمساحة ١,٦٢٤,٠٠٠ دونما، ومع ذلك فلم تكن تمثل غير ٧٪ من مساحة فلسطين.

وفى سنة ١٩٦٧ – ملكت إسرائيل كل أرض فلسطين وأضعافها.

●● وتحقيقا للخط الثانى.. كانت محاولة الشرعية الأولى مع دولة الخلافة. مع السلطان عبدالحميد رحمه الله.. قيل إن هرتزل قابل السلطان عبدالحميد بنفسه. وقيل إنه أوفد وفدا من ثلاثة هم:

١ – مزراحى قرصو (زعيم اليهود فى سالانيك).

٢ – جاك. ٣ – ليون.

وهما كذلك من زعماء اليهود.. وعرضوا على السلطان عبد الحميد (فى حضور تحسين باشا رئيس الوزراء):

(أ) أن يقوم اليهود بوفاء الديون المستحقة على الدولة العثمانية (يتكلف ١٣٣ مليون ليرة إنجليزية ذهبية).

(ب) بناء أسطول لحماية الإمبراطورية العثمانية (يتكلف ١٢٠ مليون فرنك سويسرى).

(جـ) تقديم قروض بدون فائدة (قدرها ٣٥ مليون ليرة ذهبية) لإنعاش مالية الدولة ومواردها وذلك مقابل السماح لليهود بدخول فلسطين للزيارة فى أى يوم من أيام السنة، والسماح ببناء مستعمرة لهم قرب القدس الشريف، وقد رفض الخليفة المفترى على تاريخه، وقيل: إنه بصق فى وجه زعيمهم..

●● وكانت المحاولة الثانية فى البحث عن الشرعية الدولية والحماية الاستعمارية عن طريق بريطانيا العظمى. واستطاع اليهود خلال الحرب العالمية الأولى والثانية أن ينجحوا فى المشاركة فى هذه الحرب مما استمال بريطانيا العظمى إليهم، ثم كانت صلات هرتزل ووايزمان من بعد استثمار هذه المشاركة واستفادة منها[١].

---

(١) كان ثمة تفكير لبسط حمايتها ولاستمرار الشرعية عن طريقها ففى أكتوبر سنة ١٨٩٨ كتب هرتزل فى مذكراته (يوميات هرتزل ترجمة وتحرير مارتن لوفشال – نيويورك سنة =

وفى الوقت الذى كانت بريطانيا «العظمى» قد أعطت الوعد للشريف حسين بمنح الاستقلال للدول العربية والسماح بقيام خلافة «إسلامية عربية» يقوم عليها أحد الأصلاء من مكة أو المدينة – فى نفس الوقت كانت الاتصالات باليهود قائمة، وكان التعاطف معهم أشد، وتم عقد اتفاقيتين سريتين فى مارس سنة ١٩١٦ بين روسيا وإنجلترا وفرنسا، وفى مايو سنة ١٩١٦ بين الدولتين الأخيرتين (والتى عرفت بمعاهدة سايكس – بيكو) وتقرر وضع إقليم فلسطين تحت حكم دولى يتمتع اليهود فى ظله «بالمساواة السياسية والدينية والمدنية»[١]. ولم يعرف الشريف حسين الذى وثق فى شرف بريطانيا «العظمى» بأمر هذه الاتفاقيات إلا بعد ستة شهور وبعد قيام الثورة البلشفية فى روسيا.. حيث أعلنت عن هذه الاتفاقات[٢] وفى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ أصدر اللورد «بلفور» وزير خارجية بريطانيا «العظمى» التصريح التالى»[٣]:

«أن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومى للشعب اليهودى، وسنبذل جهدنا لتسهيل تحقيق هذه الغاية على أن يفهم جليا أنه لن يؤتى بعمل من شأنه أن يضير الحقوق المدنية والدينية التى تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الآن فى فلسطين، ولا الحقوق أو الوضع السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى».

= ١٩٥٦ ص ٢٥٢) كتب يقول: «إن العيش تحت حماية ألمانيا القوية والعظيمة، والأخلاقية والمحكومة بشكل رائع، ألمانيا فى تنظيمها الشامل، سوف يكون من شأنه دون ريب أحداث تأثيرات بالغة الفائدة على الخلق القومى لليهود، وكذلك سوف يتاح لنا بضربة واحدة الحصول على وضع قانونى تام من الناحيتين الداخلية والخارجية».

(١) Geotge Lenezowski, The Middle East in warld Affairs, P.z 77 - 78.

(٢) أنطونيوس – تغطية العرب ص ٢٠٨ مشار إليه فى كتاب «العرب واليهود» للمستشار محمد عبدالرحمن حسين ص ١٠٥، وانظر الخطابات المتبادلة بين الشريف حسين وبريطانيا ص ١١٨ وما بعدها من كتاب «فلسطين.. إليكم الحقيقة».

(٣) وذلك بعد تعديل اتفاقية سايكس بيكو بما يكفل حذف شرط تدويل فلسطين من الاتفاقية Elizabcth Monoros Britaina Moment in The Middle East, 1914 -1956, P. 3p..

وبهذا أعطى «من لا يملك» لمن لا يستحق أول حماية يتم التصريح بها، وأول خطوة على طريق الشرعية الزائفة – ومع ذلك اعتبرها الصهيونيون تصديقا بريطانيا رسميا على إنشاء دولة يهودية فى فلسطين وذلك عن طريق الهجرة الجماعية وابتياع الأراضى[١]. ووافقت على التصريح فرنسا وإيطاليا فى فبراير سنة ١٩١٨ وأمريكا فى أكتوبر سنة ١٩١٨[٢]. وكانت تتمة المؤامرة البريطانية الغربية إعلان الانتداب على فلسطين بعد ضمها مع شرق الأردن والعراق إلى بريطانيا. واكتشف الشريف حسين ومن وراءه من العرب أن فلسطين قد سلمت لليهود، وأن العرب جرى اقتسامهم بين الدول الحليفة[٣].

●● وكانت المحاولة الثالثة والأخيرة إعلان دولة إسرائيل فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ فى حماية دولية إنجليزية أمريكية فرنسية روسية. وسبقتها خطوة خطيرة

---

(١) انظر. Ziomis - Meand the World Peace, 1919. 369.

(٢) وقد كشف الصهاينة عن شعورهم فى مؤتمرهم المنعقد عام ١٩١٨ بمدينة بيتسبورج «بعد إقناع الحكومات القوية لكل من بريطانيا العظمى وفرنسا وإيطاليا، وبعد الحصول على المصادقة من رئيس الولايات المتحدة صرنا نشعر بأننا كسبنا قضيتنا أمام العالم، أنه لا لزوم البتة لهدر الطاقات الثمينة على محاولة إقناع معارضة تافهة الأهمية، أن الكومنولث اليهودى فى فلسطين هو حقيقة قائمة ونحن الآن نقول بتعيين حدود الدولة».
Zonisme the Peace Conference Pabic, XXII (Fevruary J. 1919) 122.

(٣) الصهيونية كمرحلة من مراحل الإمبريالية الغربية – ريتشارد ب. ستيفنز – ص ٧١ من كتاب تهويد فلسطين لإبراهيم أبو لغد. وقد جاء فى ميثاق عصبة الأمم عن الأهداف الرئيسية لنظام الانتداب:

«أن المستعمرات والأقاليم التى كان من عواقب الحرب الأخيرة أنها لم تعد تحت سيادة الدول التى كانت تحكمها قبلا، والتى يقطنها شعوب لم تقو على الوقوف على قدميها فى الظروف الشريدة الوطأة للعالم الحديث، ينبغى أن ينطبق عليها المبدأ القائل بأن صالح مثل هذه الشعوب وتطورها يمثلان وديعة مقدسة فى ذمة المدنية.. وأن الضمانات القليلة بتحقيق هذه الوديعة يجب إدراجها فى نص الميثاق».

الفقرة الأولى من المادة ٢٢. وفى الفقرة الثالثة من توطئة صك الانتداب». ولما كان ذلك اعترافا (غير تصريح بلفور) بالصلة التاريخية التى تربط الشعب اليهودى بفلسطين، وبالبواعث الأساسية على إعادة تأسيس وطنهم القومى فى تلك البلاد.

على طريق الشرعية الدولية هو قرار التقسيم الذى أصدرته الأمم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ قبل الإعلان بشهور ستة.. هذا ما يراه البعض.

ونحن معهم أن التسلسل كان السبيل لتنفيذ المخطط عمليا.

(ب) تاريخ أقدم:

لكننا مع البعض الآخر.. الذى يرجع الأمر إلى ما قبل هرتزل بقرنين أو يزيد، حين دعا الحاخام ليفا (١٥٢٠ - ١٦٠٩) من براغ دعا إلى اتخاذ فلسطين وطنا لليهود[١].. وأعقبه مورس همس (١٨١٢ - ١٨٧٥) الذى بدأ علمانيا، ثم صبأ إلى الماركسية مرتبطا مع ماركس، لكنه أعرض عن الماركسية متجها إلى مثالية يهودية مغرقة فى حب اليهود، وأصدر كتابه «روما والقدس» سنة ١٨٦٢ بسط فيه أفكاره، وتحدث عن أن اليهود «مدعوون مصيريا لتحويل العالم». وبدأت الصهيونية المنظمة، وظهرت حركة «إحياء صهيون» تحت زعامة ليونسكو (١٨٢١ - ١٨٩١) فى مطلع الثمانينات.. وفى أواخر الثمانينيات والتسعينيات جرت صياغة العقيدة الصهيونية على يد مدارس متعددة[٢].

فالصهيونية العملية: ومن أشهر زعمائها دافيد بن غوردون (١٨٥٦ - ١٩٢٢) وقد جدد حركة «إحياء صهيون» التى تقوم على العمل فى أرض إسرائيل وإنشاء المستوطنات والمستعمرات.

والصهيونية السياسية: ويقوم على زعامتها اليونسكو فى أوربا الشرقية، واليهودى الهنغارى تيودور هرتزل (١٨٦٠ - ١٩٠٤).. ويقال إن كليهما فى البداية لم يكن مقتنعا باتخاذ فلسطين وطنا قوميا لليهود. وأن هرتزل كان فى البداية يفضل مواقع أخرى مثل الأرجنتين وقبرص وشبه جزيرة سيناء، لكنه مع المؤتمرات الصهيونية التى انعقدت تغلب الاتجاه إلى فلسطين.

وقد يؤكد القول بأن هرتزل فى البداية لم يكن متجها إلى فلسطين فى محادثاته مع الزعماء الإنجليز التى تم بناء عليها إيفاد بعثة إلى سيناء سنة ١٩٠٦

---

(١) الرؤيا فى الفكر الصهيونى - الآن تايلور - المرجع السابق، تهويد فلسطين ص ٢٥.

(٢) المرجع السابق ص ٢٨، ٢٩.

لبحث مدى صلاحيتها على الطبيعة. لكنه من ناحية أخرى. فإن سيناء ملاصقة لفلسطين، وهى من ناحية التقديس عندهم لا تقل عن فلسطين ففيها كلم الله نبيه موسى، وكتبت الألواح ونزلت الوصايا العشر، ثم هى امتداد طبيعى الدولة إسرائيل الموسعة كما تكشفت أطماعهم عنها بعد ذلك: «من الفرات إلى النيل هذا ملكك يا إسرائيل».

أما الصهيونية الثقافية: ففى عام (١٨٥٦ - ١٩٢٧)، أعلن أن وجود الأمة اليهودية بخصائصها المتأصلة هو ما يحقق الإنسان الأكثر كمالا[١] ونحن نرى أن مراحل استلاب الوطن الإسلامى فى فلسطين جرت على النحو التالى:

١ - قبل القرن السادس عشر الميلادى. كان الأمر مجرد أمل لم يصرح به.

٢ - منذ القرن السادس عشر الميلادى. كانت مرحلة التفكير والدعوة.

٣ - منذ القرن التاسع عشر الميلادى. كانت مرحلة التخطيط.

٤ - فى القرن العشرين. كانت مرحلة التنفيذ.

وغنى عن الذكر أن لا حق لليهود - تاريخيًّا - فى أرض فلسطين، فإنها منذ السنة الخامسة عشرة الهجرية أرض إسلامية.. وهى قبل هذا التاريخ أرض عربية، طوال خمسة آلاف سنة فإن عمر اليهود على هذه الأرض الطيبة لم يجاوز (١٤٠) مائة وأربعين سنة على فترتين، الفترة الأولى بين سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد حتى سنة ٩٢٧ قبل الميلاد. والفترة الثانية بين سنة ١٤٢ قبل الميلاد حتى سنة ٧٥ قبل الميلاد.

(جـ) أما الأسباب التى أدت إلى نجاح اليهود فى استلاب الوطن الإسلامى فى فلسطين، فنحن نرجعها إلى الأسباب الآتية:

١ - تخطيط اليهود وصبرهم على إنجاحه:

وقد بدأ التخطيط تفكيراً من مفكريهم كما أشرنا، ثم انتهى إلى إقرار خطة فى مؤتمر بال عام (١٨٩٧) ترمى إلى تنمية الهجرة وشراء الأرض من ناحية،

---

(١) Essays Litcrs, Memoirs Trans. Leon Opford East and West Lilrary, 1940, P.81.

والبحث عن الحماية الدولية من دولة عظمى تظلها الشرعية الدولية الزائفة من ناحية أخرى. ويقال إن البروتوكولات وضعت فى المؤتمر الصهيونى الأول.

وكلتا الخطتين تدلان على معرفة بأغوار النفس الإنسانية، وإدراك بالجو الدولى الموجود واستغلال لأحداثه.

وصبرهم على تنفيذ ذلك المخطط رغم الأحداث الجسيمة التى واجهتهم من بعده، فالاضطهاد الذى حدث لهم فى ألمانيا على يد هتلر، ثم العقبات التى قامت فى طريق إقامتهم دولتهم من مقاومة الشعب الفلسطينى وانضمام الشعوب العربية الإسلامية إلى هذه المقاومة، ومن قبلها رفض الخلافة العثمانية لوجودهم، وتآمرهم على هذه الخلافة بما صرح به هرتزل فى مذكراته من أن السلطان عبدالحميد رفض الملايين العديدة لقاء فلسطين، فقبل حزب الاتحاد والترقى مليونين لتنفيذ نفس الغرض[1]. كل ذلك وغيره يكشف عن حسن تخطيط. وعن صبر فى التنفيذ. وفى مقابل ذلك - ونقررها بكل أسف - انتفى التخطيط لدى الأمة الإسلامية أو بالأصح لدى «اليقظى» من الأمة الإسلامية، وتوافر عندهم إخلاص بغير تخطيط، شابه فى كثير من الأحيان «قلة الصبر» على التنفيذ، واستجابة لغير المخلصين لإنهاء أوضاع تقلق لليهود[2].

٢ - أبعاد الإسلام عن المعركة:

واضح أن الإسلام كان الخطر الأول فى المعركة.

أولاً: بما يحمله أبناؤه من عقيدة تؤثر الموت فى سبيل الله على الحياة فى

---

(١) تروى وثائق الباب العالى فى استانبول كيف أوعزت الحركة الصهيونية العالمية إلى جماعات منها بالتسلل إلى تركيا حتى يتسنى لهم الانضمام إلى الحركات الوطنية.. (راجع مجلة البلاغ الكويتية عدد ٤٣١ فى ٢٤ ذى الحجة ١٣٩٧ هـ - ٤ ديسمبر ١٩٧٧م).

(٢) على سبيل المثال عندما اندلعت الثورة فى فلسطين تلقت اللجنة العربية العليا من الأمير عبد الله والملك غازى والملك ابن سعود النداء التالى: «إلى أبنائنا عرب فلسطين: لقد تألمنا كثيراً للحالة السائدة فى فلسطين فنحن بالاتفاق مع إخواننا ملوك العرب والأمير عبد الله ندعوكم لإخلاد السكينة حقنا للدماء معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل، وثقوا بأننا سنواصل السعى فى سبيل مساعدتكم».
Palstine and Tansiondon Loct, 17, 1956, P. 5.

ظل عبودية تفرضها أذل أمة فى الأرض، وبما يحمله كذلك من دعوة إلى الجهاد واعتباره فرض عين إذا غزيت ديار الإسلام. هذه العقيدة من غير سلاح كفيلة بإذن الله بتحقيق النصر. فإذا أضفنا إليها أمر الإسلام: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾ [الأنفال: ٦٠]. لو أحسنا فهم الأمر الربانى لوجدنا أن الإسلام يأمر:

(أ) بالتخطيط القوى. وهو ما يحمله لفظ الإعداد وما يحمله لفظ القوة.

(ب) بالإعداد المعنوى.

(جـ) بالإعداد العسكرى. حشداً، وتدريباً، وتسليحاً.

(د) الإكثار من السلاح الثقيل وهو ما تعنيه «رباط الخيل» بعد «القوة» فهو تخصيص للأهمية والخطر.

ثانيًا: ما يحمله دخول الإسلام المعركة من ثقل بشرى لا قبل لليهود به. ونعنى به الأمة الإسلامية التى تناهز اليوم ألف مليون من البشر.

ثالثًا: ما يحمله دخول الإسلام المعركة من ثقل سياسى واقتصادى لا قبل لليهود بمواجهته. فمصالح أصدقاء إسرائيل أكثرها فى أمم الإسلام. واحتياجات مناصرى اليهود الاقتصادية أكثرها فى قبضة المسلمين.

أما عن مظاهر إقصاء الإسلام عن المعركة وكيفيته: فقد بدأ وبدأ. بما رتبه اليهود داخل دولة الخلافة نفسها. وقام على تنفيذه يهود الدونمه ومنهم حزب الاتحاد والترقى وحزب تركيا الفتاة، وهو ما عناه الكاتب الروسى سرجى نيلوس من اقتحام الأفعى للآستانة فى طريقها إلى فلسطين[1]. ثم تأكد ذلك بإقصاء السلطان عبدالحميد الذى رفض عرض اليهود[2]. ثم بالقضاء على الخلافة نفسها التى ما كان يمكن أن تسلم بقيام وطن يهودى وسط وطنها. واستمرت

---

(١) ص ٢١٦، ٢١٧ من ترجمة البروتوكولات لمحمد خليفة النونسى.

(٢) كتب ريتشارد غوتهايل (رئيس الفرع الأمريكى للمنطقة الصهيونية فى ذلك الحين) يقول: بين ما من أحد يخفق قلبه فرحا وابتهاجا مثلما يخفق قلب الصهيونى (على انقلاب تركيا الفتاة) – أن حجر الزاوية فى السياسة التى اتبعها تيودور هرتزل خلال معاملاته المختلفة مع =

محاولات إقصاء الإسلام عن المعركة بتكوين الجامعة العربية (بدلا من الجامعة الإسلامية) بفكر وزير الخارجية الإنجليزية وقبل تمام الكارثة بثلاث سنوات، وبحمل الجامعة العربية لواء الجهاد من أجل فلسطين تم تخدير بقية العالم الإسلامى عن النهوض للمعركة.. وزاد إقصاء الإسلام عن المعركة بدخول جيوش سبع دول عربية إلى المعركة.. فما حاجة بقية المسلمين للجهاد وقد تولته جيوش سبعة فيها أبطال مغاوير.. وحين دخل عنصر إسلامى شعبى إلى المعركة فى فلسطين، وحين صرح أمامهم الشهيد بإعلان التعبئة الدينية للجهاد فى فلسطين، وعزمه على دخولها بعشرة آلاف مقاتل فدائى.. وحين ذاق اليهود بأس أولئك المسلمين بما شهدوا هم به وبما شهد به قادة الجيش المصرى أمام القضاء المصرى – حين كان ذلك تمت طعنة الفدائيين المسلمين من الخلف على يد الحكومة الحاكمة فى ذلك الحين، فأصدرت قراراً بحل جماعتهم، وقراراً باعتقالهم، وكانت تنمية الخيانة قتل إمامهم فى ميدان عام على يد بعض رجال الشرطة السريين[1]. وفى كل مرة كان يتم لإسرائيل التوسع – فى عامى ١٩٥٦ و١٩٦٧ – كان يتم إدخال العنصر الإسلامى إلى السجون، ولا يمكن أن يكون هذا الأمر مع تكراره فى أعوام ١٩٤٨، ١٩٥٤، ١٩٦٥ من قبيل المصادفات السعيدة.. وتكشف وثيقة

= السلطان كان الإقرار الصريح بالحقوق السائدة للباديشاه فى الممتلكات الخاضعة لصولجانه، والرغبة فى جعل تحقيق المثل الصهيونية مصدر كسب مادى وتقدم فكرى للإمبراطورية العثمانية هذه هى الفكرة الأساسية فى العروض المقدمة منه إلى السلطان وفى الخطب التى ألقاها فى المؤتمرات الصهيونية.

(١) راجع الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين – للوزير الأردنى كامل إسماعيل الشريف، وراجع كتاب « مذابح الإخوان فى سجون ناصر » وقد أورد وثيقة بأرقامها تشير إلى اجتماع سفراء إنجلترا وأمريكا وفرنسا فى فايد فى ١٠ نوفمبر ١٩٤٨ وقرارهم اتخاذ الإجراءات اللازمة بواسطة السفارة البريطانية فى القاهرة لحل جمعية الإخوان المسلمين.. مع تغطية هذا القرار بأن سبب طلبه الانفجارات التى حدثت فى القاهرة والتى نسبت إلى أعضاء فى جماعة الإخوان، والوثيقة الثانية تشير إلى استجابة السفارة لطلب القيادة العليا للقوات البريطانية فى اتخاذ الخطوات الدبلوماسية لإتمام حل الجماعة فى أسرع وقت ممكن. ويشير الكتاب إلى أن ابلاغ رئيس الحكومة بهذا الطلب كان مشفوعا بتبليغ شفوى بأنه فى حالة عدم حل الإخوان ستعود القوات البريطانية إلى احتلال القاهرة والإسكندرية. (ص ١٢، ١٣، ١٤، ١٥ من الكتاب المذكور – تأليف الأستاذ جابر رزق – دار الاعتصام – الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م).

تضمنها حكم قضائى صدر فى مصر فى ٣٠ مارس ١٩٧٥ عما كانت تحمله السلطة الحاكمة وقت التوسع من العداء للإسلام والمسلمين وتخطيط للقضاء عليهم(١).

٣ - إقصاء الشعب الفلسطينى عن المعركة:

منذ ذاق الإنجليز ومن بعدهم اليهود بسالة الشعب الفلسطينى وتضحيته وتصميمه على الدفاع عن التراب الإسلامى فى القدس وفلسطين.. ومنذ ظهر منه أمثال الشهيد «عبد القادر الحسينى» قائد منطقة القدس والشهيد «حسن سلامة» قائد المنطقة الوسطى.. فقد قرروا إقصاءه عن المعركة.

وكانت قمة التخطيط والتنفيذ إدخال سبعة جيوش عربية إلى فلسطين لتخوض المعركة مع اليهود «بالنيابة عن الشعب الفلسطينى».

وسبقها وعاصرها حرمان الشعب الفلسطينى من التدريب ومن التسلح وتشكيك الجيوش العربية فى أمانة الشعب الفلسطينى، واتهامه بالعمل لحساب العدو اليهودى(٢).

وكنا نعجب كيف لجيش عربى يقوده إنجليزى صريح أن يخوض حربًا لصالح المسلمين وضد اليهود الذين ضمن لهم الإنجليز بالوعد والتخطيط والتنفيذ قيام وطن لهم فى فلسطين؟ وكنا نعجب لجيش.. بل لجيوش أخرى فى بلاد يحتلها الإنجليز.. كيف سمحوا لها بالمرور إلى فلسطين حتى أدركنا أن المطلوب هو إقصاء الشعب الفلسطينى عن المعركة.. وفعلا نجحت الخطة.. وأقصى الشعب الفلسطينى عن المعركة..

وسلمت أراضى فلسطين جزءاً جزءاً.. من الجيوش العربية الباسلة إلى إسرائيل المزعومة وبعد أن انتهت حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ كان الشعب الفلسطينى قد تم إقصاؤه حربيًا عن المعركة. وتم بعد ذلك إقصاؤه سياسيًّا عنها.

---

(١) الوثيقة نشرت فى كتابى: فى الزنزانة، عندما يحكم الطغاة، «للمؤلف.

(٢) راجع تفصيلات أليمة فى كتاب كامل إسماعيل الشريف: صفحات من التاريخ الإسلامى، الإخوان المسلمون فى حرب فلسطين.

فتحولت القضية أمام الأمم المتحدة إلى نزاع بين دول ذات سيادة.. عربية وإسرائيلية[١].

وحين بدت بادرة ظهور العنصر الفلسطينى سنة ١٩٦٧.. ثم حشد القادرين منهم فيما سمى بجيش التحرير الفلسطينى ليتم التهامهم فى أول ضربة لليهود فى يونية سنة ١٩٦٧ وقامت جيوش أخرى بالواجب فى القضاء على العنصر الفلسطينى الثائر. بعضها فى مذبحة «أيلول الأسود» التى قتل فيها اثنان وعشرون ألفًا على يد جيش عربى. والبعض الآخر فى مذبحة «تل الزعتر» وما قبلها وما بعدها.. وتدخل جيش عربى ليتم النصر ويتوجه ويحميه[٢].

* * *

ثانيًا: الحاضر الأليم فى فلسطين

● من الناحية السياسية:

(أ) الدولة شعب وإقليم وسيادة:

والشعب الفلسطينى - اليوم - موزع بين الأقطار، ممزق بين المنظمات والأحزاب. مما سنزيده تفصيلاً عند الكلام عن الناحية الاجتماعية إن شاء الله. وإقليم فلسطين اليوم.. غير موجود على الخريطة السياسية.. موجود بدلا منه دولة إسرائيل وهى لم تكتف بأراضى فلسطين.. بل ابتلعت فى توسعها سنة ١٩٦٧ الجولان من سوريا والضفة الغربية من الأردن، وشبه جزيرة سيناء من

---

(١) مقدمة كتاب تهويد فلسطين للدكتور إبراهيم أبو العز - مترجم للإنجليزية - منطقة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث ص ١٣، ١٤.

(٢) لا تزال عمليات الإبادة للعناصر النظيفة تتم عن طريق اغتيال بعض القيادات الفلسطينية بأيد فلسطينية عميلة، كما تتم عن طريق الإبادة المادية والمعنوية داخل السجون، ويقدر عدد المسجونين فى سجون إسرائيل - حسب تصريح حاييم حيفى مدير السجون - بـ٥٨٥٢، لكنهم فى الواقع يبلغون ضعف هذا العدد أو يزيد، ويتعرض المسجونون لمعاملة قاسية فى سجون إسرائيل وعلى لسان السجين «عمر عبد المنعم» أشار إلى بعض وسائل التعذيب ومن بينها تكسير الأصابع وخلع الكتفين، وحز الرقبة بالسلاسل الحديدية وتهشيم الوجه.. إلخ. وفى الوقت الذى سمع العالم عن كبوتشى لم يسمع عن الشيخ محمد أبو طير الذى اعتقل معه..

مصر[1] .. والأراضى التى ابتلعتها فى التوسع الأخير أضعاف ما امتلكت من قبل بغير حق .. ولا سيادة لشعب فلسطين على أرض فلسطين .. بل ولا سيادة له فى مكان آخر .. والمنظمة التى نشأت فى أواخر الستينيات .. إلى جوارها تيارات أخرى .. بل مزقتها من الداخل تيارات مختلفة .. وأشارت أصابع الاتهام إليها فى مذبحة أيلول وما لحقها من مذابح .. أنها مهدت، وأحيانا شاركت . وهى على أى حال قد احتوتها التيارات التى احتوت كثيراً من الأنظمة ومن المنظمات فى المنطقة .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

(ب) الشرعية للغصب الإسرائيلى تتم باعتراف أصحاب الحق نفسه :

حرصت إسرائيل منذ قيامها – بل ومن قبل قيامها – أن تستر غصبها بشرعية رفضها أصحاب الحق يوم أن قالوا : « إن من لا يملك أعطى من لا يستحق » لكنها بكل أسف – اليوم فى دور اعتراف أصحاب الحق نفسه[2] .. ومتى تم ذلك فقد انتفى عن إسرائيل كل ما قيل من اغتصاب وسلب لأرض الإسلام .. ومن هنا كانت الخطورة .. وقد سبق هذه الخطوة تمهيد على النحو التالى :

١ – تمهيد إعلامى .. بأن إسرائيل أمر واقع، وأن لا قبل للعرب بدفعها عن فلسطين .

٢ – تمهيد حربى .. بإحراز بطولة – ولو جزئية – فى جانب العرب، ليبدو قبول « السلام » من موقع القوة فلا يرفضه الشعب العربى باعتباره استسلاما .

٣ – تمهيد اقتصادى .. بإحداث خنق اقتصادى للشعب العربى فى المنطقة خصوصاً الجزء منه الذى يتصدر للمعركة .. حتى يلوح « السلام » إنقاذاً للشعب مما يعانيه .

٤ – تمهيد سياسى .. وذلك باحاطة إسرائيل بأنظمة تعمل لحساب الصيونية – عن قصد أو غير قصد – بتحطيم معنويات الشعوب، وتحطيم قيمهم

---

(١) استردت مصر شبه جزيرة سيناء بعد معاهدات كامب ديفيد لكنها منزوعة السلاح، لا يسمح لمصر بقوة عسكرية عليها إلا لحفظ الأمن (شرطة) .

(٢) كنا نشير بهذه الكلمات إلى اتفاقيات كامب ديفيد التى كان يجرى التمهيد لها ومازالت الكلمة بفضل الله صالحة لما يجرى اليوم من إحلال الاعتراف الكلى الجماعى محل الاعتراف الجزئى .

وأخلاقهم، والتمهيد إعلاميا للاعتراف بالاغتصاب بل وللتعاون مع الغاصب، وحسبنا أن نعرف أن نظاما ما استطاع يهودى أن يتسلل إليه وتسمى بغير اسمه، وصار بعدل فى الوزارة ويبدل، وقد عرضت عليه هو الوزارة فأبى بنصيحة من كبرائه فى إسرائيل لأن مكانه أقوى من وزير.. وفى نظام آخر وصل عملاء الصهيونية وأعضاء الماسونية إلى حد تسيير دفة الحكم والجلوس على رأسه، وكان من ورائهم اليهودى أو من هو متزوج بيهودية، ولا شك أن ذلك كله لم يحدث إلا بعد أن قامت دولة إسرائيل وارتؤى أن الأنظمة الرجعية صارت عاجزة عن تحقيق الهدف.. بل هى حجر عثرة فى سبيل تحقيق الهدف.. ومن ثم عرفت المنطقة «مودة» الانقلابات العسكرية[1].

(جـ) المستقبل السياسى لإسرائيل:

المغفلون أو الغافلون يعتقدون أن إسرائيل بعد الاعتراف بها والصلح معها سوف تقنع بما هى عليه.. وتاريخ الصهيونية وطبيعتها وأهدافها وكتبها.. كل ذلك يأبى عليها ذلك. وحسبهم أن يقرأوا التلمود، وأن يقرأوا البروتوكولات، بل أن ينظروا إلى ما كتب فى الكنيست نفسه.. فلم يعد الأمر عندهم حياء.

وبلغة أصحاب الحق تحدث رئيس إسرائيل فى يوم أليم[2]. على أنهم أصحاب حق يستردون أرض الأجداد.. وكأن الذين عاشوا عليها أربعة عشر قرنا ليسوا أصحاب حق حين عاشوا تحت راية الإسلام وكأنهم قبل الإسلام حين عاشوا

---

(١) راجع ما كتبناه فى أساليب الغزو الفكرى للعالم الإسلامى. وراجع كذلك ما كتبه المؤرخ الصهيونى ايرل برغر فى كتابه العهد والسيف.. عند ذلك شعرت إسرائيل أن القوى التى تغذى شعور العداء ضدها فى العالم العربى هى العناصر الرجعية: رجال الإقطاع، السياسيون القدامى، المشايخ، جميع العناصر التى تخسر كثيراً إذا سادت فى المنطقة اشتراكية إسرائيل النموذجية.

وكان بن جوريون شديد الإيمان بالقضاء على هؤلاء جميعا حين طلب فى الكنيست قبل ثورة الضباط الأحرار أن تتحلى بالصبر لأن السلام لن يكتب لإسرائيل ما دام العالم العربى فى قبضة الرجعيين، وأن الخطوة التى يجب أن تسبق الصلح مع إسرائيل هى إقامة ديموقراطيات شعبية فى البلدان العربية لهذا كانت حاجة إسرائيل لثورة الضباط الأحرار أشد من حاجة المصريين.

(٢) هو يوم وقفة عرفات من عام ١٣٩٧هـ.

قرونا عديدة ليسوا أصحاب حقوق، وتحدث رئيس إسرائيل عن العبقرية اليهودية وعما يمكن أن تفعله فى المنطقة.. ولئن كان حديثه عن الناحية الاقتصادية.. فإننا نقدم عليها الناحية السياسية، فنقول إنه إن ظل الوضع المفتوح فبوسع العبقرية اليهودية أن تفعل ما تشاء فى المنطقة، ولها أن تحرك الدمى بما ترى، ولها أن تغير الدمى أن ضاقت بها الشعوب أو أحيطت بها الشكوك.. ولها أن تمضى فى التوسع بعد ذلك غير عابئة بالضمانات، فما ضمانات اليوم بأعظم ولا أبقى من وعود الأمس وقراراته..

كل ذلك.. لأن إسرائيل أسقطت من حساباتها حاليا الإسلام وأهله بعد ما نزل على رؤوسهم من ضربات تدوخ وتكسر وتقتل..

لكن عقيدتنا فِي اللهِ لم تتزعزع، وإيماننا بانتصار الإسلام لم يهن ولن يهون.. ﴿ ... **وَإِنَّ جُندَنا لَهُمُ الْغَالِبُونَ** ﴾ [الصافات: ١٧٣].

* * *

●● من الناحية الاجتماعية:

(أ) شعب تمزق:

مزقته الخلافات قديمًا وحديثًا[١]. ومزقه التشريد وحياة الخيام، ومزقه الجوع والعرى والمرض.

(ب) شعب تحلل:

تحلل فكريًّا بعد ما مزقته تيارات عديدة.. علمانية، شيوعية، وجودية، يهودية[٢]. وتحلل خلقيًّا بعد ما مزقه التشريد والحاجة، وسرى فيه

---

(١) يقول الدكتور إبراهيم أبو العز: «فالانشقاقات الداخلية فى الحركة الوطنية الفلسطينية وهى التى ظهرت بوضوح خلال الثلاثينيات». (ص ٢٢٤ المرجع السابق)، ونضيف أنه كذلك حديثا بين المنظمات بتياراتها المختلفة أو داخل المنظمة الواحدة - وما حدث من اقتتال بين أبناء الوطن الواحد على أرض لبنان فى عام ١٤٠٤هـ (١٩٨٤م) دليل على ذلك.

(٢) حرص اليهود على هذا التحلل الفكرى فى أى اتجاه إلا اتجاه الإسلام.. ومن ثم فإنك تجد فى فلسطين المحتلة: =

الانحلال[1]. وتحلل أسريا بعدما تمزقت الأسرة الواحدة بين بلاد وأقطار – ولم يعد فيها من ينصت إلا لنداء البطن.. وما حوى.. كل ذلك إلا من رحم ربى.

(جـ) شعب يهود:

إن أمام العرب فى إسرائيل ثلاثة خيارات:

(أ) اعتناق الدين اليهودى.

(ب) الطرد خارج البلاد.

(جـ) الإبادة التامة (بن جوريون).

«سنصل إلى وقت نعرف فيه كيف نمنع من لا يضع القلنسوة اليهودية فوق رأسه أن يعيش بيننا» (جولدا مائير).

«إن فرعون أخطأ ولم يصب الغرض حيث سلك ببنى إسرائيل الإرهاب والتنكيل فانتصروا عليه وسجل التاريخ عليه لعنات ما اقترفه، ولكنه لو أنشأ

= (أ) التبشير يعمل لصالح النصرانية والصليبية.. ويجد كل تشجيع.. وله هناك مراكز مثل المستشفى المعمدانى وكثير من الكنائس وهو إذ يعجز عن نقل المسلمين إلى النصرانية فإنه يكتفى بإبعادهم عن الإسلام.

(ب) الشيوعية – وهى نشطة جداً فى فلسطين المحتلة، وهناك حزب شيوعى عربى ينسق عمله مع حزب «راكاح» الإسرائيلى الشيوعى.. وإن لم يكن ذلك معلنا أو ظاهرا، ومن أهم مراكز الدعوة إلى الشيوعية: جامعة بيرزيت فى قضاء رأم الله.. وجامعة بيت لحم الذى يوجد فيها إلى جوار النشاط الشيوعى النشاط التبشيرى ولهم الصحف التالية:

١ – الاتحاد. ٢– الفجر. ٣ – الشعب.

(١) يساعد على الانحلال فى الشعب الفلسطينى طبقاً للتخطيط اليهودى:

(أ) حياة اللاجئين فى المخيمات.

(ب) الاختلاط فى المدارس والجامعات.

(جـ) الاختلاط فى المصانع وجر الفتاة العربية للعمل فى المصانع تحت ضغط الحاجة المادية.

(د) مناظر الفتنة التى تتعمدها اليهوديات من ملابس كاشفة حتى داخل حرم المسجد الأقصى.

(هـ) ممارسة الدعارة وتخصيص بعض الفنادق لها، وممارستها فى بعض الحدائق العامة الكثيفة.

(و) وسائل الإعلام المختلفة وما تدعو إليه – وهو ما يعترفون به فى مخططاتهم المعروفة.

مدارس وجامعات يغير فيها أفكارهم، ويقتلهم قتلاً معنويًّا ويجعلهم ينحرفون عن هدفهم الأصلى، فيعيشون عالة على غيرهم بلا هدف يتفانون فى تحصيله لو فعل ذلك لأراح، ولسجل التاريخ، وفخره خدمة للعلم بدلاً من لعنات البطش والإرهاب».

(الفيلسوف الهندى أكبر اله آبادى)

ولتحقيق هذه الغاية تمضى برامج الإعلام، ومناهج التعليم لتحقيق هذه الغاية[1]. ولتحقيق هذه الغاية تمضى السياسة الاقتصادية نحو تنمية الحاجة لدى العرب القاطنين داخل إسرائيل، ولهذه الغاية تمضى سياسة «التهجير» و«الاستيطان» ونزع ملكية العرب المقيمين فى فلسطين[2].

---

(١) سيطرت إسرائيل على كافة المدارس العربية، وقامت بتغيير المناهج بما يكفل قطع صلة العرب عن ماضيهم وأدخلت اللغة العبرية بالمدارس، ودرس التاريخ اليهودى والحضارة اليهودية وعدلت سائر المناهج بما يخدم الغرض للتهويد – راجع التحدى الصهيونى – فى مناهج التعليم العربى فى إسرائيل – ماجد عرسان الكيلانى – الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م) – وجامعة بيرزيت فى قضاء رام الله تكاد تكون شيوعية صرفة، وجامعة بيت لحم كذلك. وهم يستعدون لإقامة جامعة «يهودية» وكذلك النشاط التبشيرى فى الجامعات وخارجها.

(٢) فى سبيل ذلك وإلى جوار ما قامت به إسرائيل من قبل قامت من سنة ١٩٧٠ بهدم بيوت كثيرة حول المسجد الأقصى وصادرت أراضى القرى المحيطة بالقدس، وبين سنتى ١٩٧٢، ١٩٧٥ صادرت مساحات واسعة من قرى أبو ديس، وبكاريا، عرب النعامدة، العبيدية، العنبرية، نحاتا.. وانشأت ١٢ حيا سكنيًّا يهوديًّا، ومنطقتين صناعيتين، ووحدة طلابية، ووحدة عسكرية. كما أقامت ٨٤ مستوطنة منها ٣٦ بالضفة الغربية.. وما تزال ماضية فى طريقها.. وفى ٢٠ سبتمبر ١٩٧٥ نشرت صحيفة دافار: «صرح مسئول إسرائيلى كبير أن خارطة القدس الموسعة التى تمت الموافقة عليها مؤخرًا بالكنيست والتي رسمت بإيعاز من رئيس الحكومة قد شملت الضواحى التالية حتى الخان الأحمر: ٧٠٠٠٠ دونم شرقا، وقرية بيت ايل – يعنى بيتين – شمال مدينة أسبيرة شمالاً، ومدينة الخليل أو كريات أربع جنوبًا (والأخيرة أنشئت سنة ١٩٨٦ وسكانها من اليهود المتدينين)، والطرون بيت شمس غربًا». ونشرت جريدة دافار فى ١٤/٤/١٩٧٥: «اتسمت سنة ١٩٧٤ بارتفاع وتعزيز الإسكان اليهودى بالقدس فى الأحياء الجديدة التى شرع فى إقامتها وأقيمت كحزام من حول المدينة وبهذا يكون عدد اليهود الذين سكنوا القدس خلال السنوات العشرة الأخيرة ١٤٢ ألف شخص. وتقدر المناطق التى تخطط إسرائيل لاحتوائها بحوالى ٣٠٪ من مساحة الضفة الغربية وفيها ٢٥ ألف مواطن».

ثالثًا : مستقبل فلسطين

الحديث عن المستقبل حديث شائك، إذ لا يعلم الغيب إلا الله.. لكن الله سبحانه.. أجاز لنا «الإعداد» وذلك قوله: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ** ﴾ [الأنفال: ٦٠]، والإعداد يقتضى «التوقع» بالنسبة للمستقبل والعمل على أساس من ذلك التوقع. والله سبحانه وتعالى جعل لنا كذلك «سننا كونية» تعيننا على ذلك التوقع، منها ما يؤخذ من قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ** ﴾ [الرعد: ١١] ومن قوله: ﴿ **وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ** ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، ومن قوله: ﴿ **إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾ [محمد: ٧]. فمن خلال هذا وذاك نستطيع بعون الله – دون رجم بالغيب – أن نرسم صورة المستقبل من خلال الأحداث، ثم نحاول رسمها من خلال الإيمان.

● **المستقبل من خلال الأحداث:**

يستطيع المجتهد أن يستنبط ما يلى:

(أ) لا مستقبل لفلسطين:

ذاك منطق الأحداث وتوقعاتها. أن الصهيونية وضعت أقدامها وأنى لها أن تتزحزح. وأنها فى كل جولة تكسب الجديد، فتنقلب مطالبة العرب بالجديد، وتنسى القديم، وهو ما نراه من مطالبة بالجلاء عن الأراضى التى احتلت سنة ١٩٦٧.. كأن الاحتلال الذى تم قبل سنة ١٩٦٧ قد صار أمرًا شرعيًّا وحقا مقررا لليهود.. وفى الجولة القادمة – إن بقيت الأوضاع على ما هى عليه – تكون أراضى ١٩٦٧ أمرًا شرعيًّا مقررًا لليهود، وتكون المطالبة بالأراضى التى احتلت بعد ذلك.

والمجتمع الدولى – بتأثير الصهيونية والصليبية العالمية – يضفى الشرعية على كل توسع صهيونى. فالمجتمع الدولى – بالتأثير السابق – هو الذى قسم أرض فلسطين ١٩٤٧ بين اليهود والعرب وكانت من قبل خالصة للعرب وحدهم، ولم يكن لليهود فيها أدنى نصيب.. والمجتمع الدولى هو الذى عاد بعد ذلك

يصدر القرار ٢٤٢ والقرار المعدل له ليعترف بفلسطين كلها لليهود ويطالبهم فقط بالجلاء عن الأراضى العربية الأخرى التى احتلتها إسرائيل علاوة على فلسطين ١٩٦٧ . . وغدا تحتل إسرائيل أراضى أخرى[١] . فيكون قرار المجتمع الدولى الاعتراف بالأراضى القديمة والمطالبة بالجلاء عن الجديد . ومثل أخير، وهو أن القدس المسلمة قبلة المسلمين الأولى وثالث الحرمين فيها . . أن إسرائيل تعلن أنها عاصمتها وأنها لا تتنازل عنها، وتعلن أمريكا تأييدها لها فى ذلك . . وهكذا .

(ب) المستقبل للصهيونية :

المستقبل للصهيونية إن بقيت الأوضاع على ما هى عليه، فالسنن الكونية تعمل

---

(١) وقد حدث باحتلال لبنان «الجنوب» – ثم الوصول إلى حصار بيروت .
ومن أهم الأحداث التى تلت كتابة هذه الكلمات :

- توقيع اتفاقية خيمة داود (كامب ديفيد ١٩٧٩ بأطراف ثلاثة مصر، إسرائيل، الولايات المتحدة الأمريكية) .
- إعلان مقاطعة العرب لمصر – عدا عمان والسودان .
- حملة اعتقالات فى مصر فى صيف ١٩٨١ (٥ سبتمبر) قبل الانسحاب اليهودى من سيناء (وكشرط له فى نظرنا) . وكان من بين المعتقلين عمر التلمسانى – رحمه الله – (أكثر من ٨٠ سنة) المرشد العام للإخوان المسلمين وكان من بين قتلى التعذيب محمد كمال السنانيرى عضو مكتب الإرشاد للأخوان المسلمين .
- مقتل السادات بعد ذلك بشهر (٦ أكتوبر ١٩٨١) بيد الضابط المصرى – خالد الاسلامبولى – رحمه الله .
- تنفيذ حكم الإعدام فى خالد الاسلامبولى قبل الانسحاب فى إبريل ١٩٨٢ .
- الاجتياح الإسرائيلى للبنان (حزيران – يونية – ١٩٨٢) وحصار المخيمات ومذابح صبرا وشاتيلا وحصار طرابلس، وخروج عرفات وخروج المقاومة .
- مشروع فاس دعا إلى عيش جميع دول الشرق الأوسط فى سلام .
- ضرب المنظمة فى تونس عام ١٩٨٦ .
- حصار المخيمات مرة أخرى ١٩٨٦ التى وصلت إلى حد أكل أهل المخيمات الميتة وأكلهم لحوم البشر!
- اجتماع المجلس الوطنى الفلسطينى (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م) وإلغاء اتفاق عمان، وإغلاق مصر لمكاتب المنظمة .

كل هذه الأحداث هل فيها شىء لصالح فلسطين؟!

فى جانب من يعمل، ولا تعمل فى جانب من يتقاعد أو يتكاسل أو يتجابن.. وواضح أن الصهيونية تعمل مخططة ثم منفذة، وأن العرب والمسلمين يتصايحون ويكتفون بالصياح ويتسابون فيما بينهم ويتقاتلون كذلك فيما بينهم، أشداء على المؤمنين رحماء باليهود، أعزة على المؤمنين أذلة على الكافرين.. والصهيونية كما تبين مخططاتها لا تكتفى بفلسطين، أنها تحلم بالدولة الكبرى من الفرات إلى النيل.

وتحلم من بعدها بسيادة العالم كله.. وخطواتها التنفيذية تؤكد أنها تنفذ ما تحلم به وما تخطط له.. ونجاحها فيما مضى قد يكون دليلاً على نجاحها فيما بقى..

ويظهر التخطيط والتنفيذ الصهيونى الخبيث فيما كتبه مناحيم بيجن فى كتابه «التمرد» حيث يقول: «إذا أنت أخضعت رجلاً للدرجة الأولى من المعاناة فإنه يظل يكافح لكى يعود إلى نقطة البداية، ولكنك إذا دفعته إلى أسفل السلم فسوف لا يفكر فى العودة إلى حالة اللامعاناة، بل سوف يحلم فقط بالرجوع إلى المرحلة السابقة مباشرة، ولعله يكون قد نسى ما يجرى وراء هذه المرحلة الأخيرة من مراحل المعاناة»[1]. وهذا التخطيط هو الذى تقوم به إسرائيل مع العرب أجمعين وهو أن تدفعهم إلى الهاوية حتى لا يفكروا إلا فى المرحلة التى قبلها مباشرة.

إذن فأرض الكنانة فى مصر مهددة. ومسجد رسول الله ﷺ فى المدينة مهدد كذلك.. هذا كله.. بشرطين:

أن تبقى أوضاعنا على ما هى عليه.. أن تبقى السنن الكونية تحدث تأثيرها.. لكن – حتى يكون تقويمنا صحيحاً – لا بد من النظرة الأخرى.. فلها نعيش..

● **المستقبل من خلال الإيمان:**

النظرة من خلال الإيمان تختلف كثيراً عن النظرة من خلال الأحداث وحدها وهى فى اختلافها تقوم على أسس مغايرة:

---

(١) التمرد – لبيجن ص ١٨٧ ترجمة اللواء الركن حسن البدرى طبع الهيئة المصرية للكتاب – ١٩٧٨.

١ – أن الله سبحانه خالق السنن الكونية قادر على أن يعطلها أو يغيرها، فمن السنن الكونية أن النار تحرق.. لكن إرادة الله حين شاءت.. جعلت النار بردا وسلاما على إبراهيم.. ومن السنن الكونية أن الماء يغرق.. لكن إرادة الله حين شاءت.. فرقت البحر فرقتين ﴿ **فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ** ﴾

[الشعراء: ٦٣]

٢ – أنه إلى جوار السنن الكونية فى أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم فإن مفهوم المخالفة.. أنهم إن غيروا ما بأنفسهم غير الله ما بهم مؤكدا قوله تعالى: ﴿ **إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ** ﴾ [محمد: ٧] ومن هنا المنطلق ومن هنا يبدأ العلاج إن كنا نريد عودة فلسطين.. ونضع بعون الله الشروط:

(أ) لابد من التغيير.. من القمة إلى القاعدة.. من الرأس إلى القدم.. لابد من تغيير كل شيء.. بأنفسنا.. حتى يغير الله ما بنا..

(ب) لابد أن يكون التغيير على أساس الإسلام.. لأن التغيير من غير إسلام.. لا يكون معه نصر الله ولا يكون هو التغيير الذى عناه الله.. وقد رأينا أنهم حين أرادوا سلب فلسطين أبعدوا الإسلام عن المعركة وتمثل ذلك فى إنشاء الجامعة العربية (بديلا وامتصاصا للجامعة الإسلامية) قبل إعلان دولة اليهود بثلاث سنين.. ثم تمثل فى دخول الجامعة العربية وجيوشها لتكون حائلا دون تحرك جيوش إسلامية أخرى.. ففيها الغناء والكفاء.

ثم تمثل فى التآمر على العناصر الإسلامية التى بدأت خوض المعركة للحيلولة دون نزولها بثقلها إلى المعركة..

وقبل ذلك كله تآمرهم على دولة الخلافة الإسلامية تنفيذاً لما قالوه من أن الأفعى اليهودية لابد أن تمر بالآستانة فى طريقها إلى إسرائيل.. وعلى ذلك فإذا كانت فلسطين قد استلبت لما أبعد الإسلام عن المعركة – فإنها لن تعود إلا إذا عاد الإسلام إلى المعركة.

والإسلام فوق ما قدمنا يقدم:

ثقلاً عقائديا يغير الكيفية التى تدار بها المعركة ويغير نتيجتها.

ثقلاً بشريا.. ولهذا أثره فى استراتيجية الحروب.

ثقلاً اقتصاديا.. بوقف موارد الدول الإسلامية وهى اليوم أغنى دول العالم خلف المعركة.

ثقلاً سياسيا.. بوقوف الدول الإسلامية كلها - بدلا من الدول العربية المحدودة - خلف المعركة.

ومن قبل ذلك.. ومن بعد ذلك.. ما أشرنا إليه من نصر الله الذى لا يتنزل إلا على نوعية معينة..

﴿ **بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ** ﴾ [آل عمران: ١٢٥، ١٢٦].

* * *

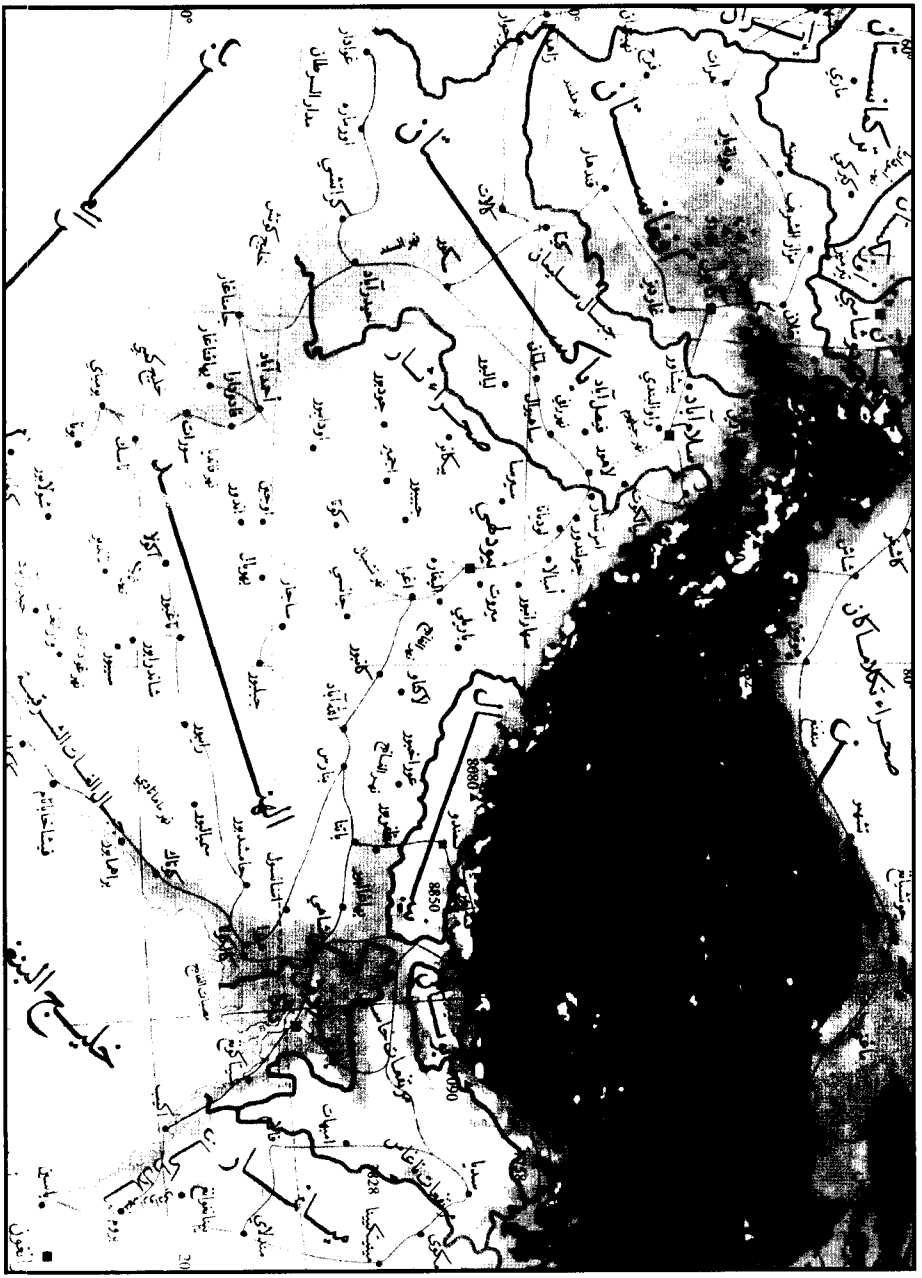

جمهوريات وسط آسيا الإسلامية بالإتحاد السوفيتي

المبحث الثالث

الأرض السليبة تحت النفوذ الشيوعى

● **مقدمة :**

مساحة العالم الإسلامى ربع مساحة العالم، والمساحة التى يسيطر عليها الشيوعيون خمس مساحة العالم الإسلامى، وعدد المسلمين الواقعين تحت الاستعمار الشيوعى يمثلون خمس المسلمين[1]. وذلك يدعونا إلى رفع الصوت بالنذير. للغافلين، والنائمين، واللاهين من أمتنا الإسلامية أن ميراث محمد عليه الصلاة والسلام يحتله الكفر البواح الفاجر. وأن أعراض المسلمات وحرمات المسلمين تعبث بها أيدى الملاحدة والشيوعيين. وأن الفتنة التى يتعرض لها هؤلاء وأولئك من الكفر الحاكم أشد من القتل وأكبر من القتل..

ونكتفى بإذن الله بالإشارة إلى حال المسلمين فى الاتحاد السوفييتى ثم فى الصين ثم فى بلاد أخرى تحكمها الشيوعية.

أولاً : المسلمون فى الاتحاد السوفييتى(*)

الأرض الإسلامية – ميراث محمد عليه الصلاة والسلام – أضعاف أرض روسيا، فأقاليم الإسلام فى الاتحاد السوفييتى تشمل :

١ – الأورال. ٢ – استرخان.

٣ – سيبيريا.

٤ – القرم (وهى أغنى المناطق بالحاصلات الزراعية).

٥ – القوقاز (وهى أغنى المناطق بالبترول وبعض المعادن).

---

(١) راجع : المسلمون تحت السيطرة الشيوعية – محمود شاكر – مؤسسة الرسالة – طبعة ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م) ص ٦

(*) بعد سقوط الاتحاد السوفييتى استقلت بعض الأقاليم ، وقد سارع العالم الغربى بتأييد الأقاليم (غير الإسلامية) .

٦ – التركستان بلاد ما وراء النهر: (منها إماما السنة: البخارى، ومسلم، والمفسران: الزمخشرى، والنسفى، وأئمة البلاغة وإعجاز القرآن: عبد القاهر الجرجانى وسعد الدين التفتازانى ويوسف السكاكى، ومنها الفارابى وابن سينا، وعلماء الرياضة والفلك: خالد والبلخى، ومن علماء الهندسة: بنو موسى ومنها البيرونى، والماتوريدى والخوارزمى، والسرخسى والجوهرى وغيرهم).

● **ومن الثروات المعدنية:**

٢٥٠ منجما للذهب، ١٦ للفضة، ٤٦ للحديد، ٣٢ للرصاص، ٣٤٤ للبترول، ٧٠ للفحم، ١٣ للكبريت، ٦٣ للصوديوم عدا الأورانيوم والفرام، والزئبق والنحاس والقصدير والبلاتين. وهذه الأقاليم تمثل الشمال الشرقى من العالم الإسلامى.

وهى تمثل من حيث المساحة تسعة أعشار مساحة الاتحاد السوفييتى (كانت ٤٠٠ ألف كيلو متر.. فصارت بعد ضم البلاد الإسلامية ١٤ مليون كيلو متر).

● بعد الثورة البلشفية أصدر مجلس قوميسيرى الشعب البلشفى نداء موجها إلى شعوب روسيا من المسلمين كان من بين من وقعه لينين وستالين جاء فيه (مؤرخا ٧ ديسمبر ١٩١٧): «إن إمبراطورية السلب والعنف الرأسمالية توشك أن تنهار، والأرض التى تستند عليها أقدام اللصوص الاستعماريين تشتعل نارا.

وفى وجه هذه الأحداث الجسام نتجه بأنظارنا إليكم أنتم يا مسلمى روسيا والشرق، أنتم يا من تشقون وتكدحون وعلى الرغم من ذلك تحرمون من كل حق أنتم له أهله.. أيها المسلمون فى روسيا.. أيها التتر على شواطئ الفولجا وفى القرم.. أيها التتر والأتراك فى القوقاز.. أيها الجبليون فى اتحاد القوقاز.. أنتم يا من انتهكت حرمات مساجدكم وقبوركم، واعتدى على عقائدكم وعاداتكم، وداس القياصرة والطغاة الروس على مقدساتكم:

ستكون حرية عقائدكم وعاداتكم، وحرية نظمكم القومية. ومنظماتكم الثقافية مكفولة لكم منذ اليوم.. لا يطغى عليها معتد.. هبوا إذن فابنوا حياتكم القومية كيف شئتم، فأنتم أحرار لا يحول بينكم وبين ما تشاءون حائل»..

إلى أن قال البيان: «أيها الرفاق.. أيها الأخوة.. لنتقدم سويا فى عزم وصلابة نحو سلم عادل ديمقراطى.. إن رايتنا تحمل معها الحرية للشعوب المظلومة فى أرجاء العالم.. أيها المسلمون فى روسيا.. أيها المسلمون فى الشرق.. إننا ونحن نسير فى الطريق الذى يؤدى بالعالم إلى بعث جديد نتطلع إليكم لنلتمس عندكم العطف والعون».

استجابت البلاد الإسلامية وأعلنت استقلالها (عن الحكم الروسى القديم) فهل تركها الحكم الذى يحمل الحرية للشعوب المظلومة فى أرجاء العالم. في أبريل سنة ١٩١٨ - أى بعد أربعة شهور من البيان السابق - أصدر لينين أمرا بالزحف على البلاد الإسلامية وسارت الجيوش الروسية بالدبابات والطائرات والمدافع.. تدمر وتحصد ما فى طريقها، وفى نهاية العام تم لها الاستيلاء على جمهورية «ايديل أورال» وشمال القوقاز، وحكومة خوقند، وتأخر استيلاؤها على شبه جزيرة القرم لعنف المقاومة فيها.

وفى سنة ١٩١٩ تم الاستيلاء على جمهورية «الأش ازدو». وفى أبريل سنة ١٩٢٠ استولت على جمهورية «خيوة» بعد أن ظلت تدافع دفاع المستميت.. وفى سنة ١٩٢١ استأنفت الهجوم على جمهورية «بخارى» ودار فيها قتال مرير، ودافع أحفاد الإمام البخارى رضى الله عنه عن ميراث محمد عليه الصلاة والسلام.. لكنهم وحدهم لم يستطيعوا الوقوف فى وجه الزحف الأحمر الثقيل فهزمت جيوشهم المنظمة، لكنهم ظلوا يحاربون حرب عصابات مدة عشر سنوات دون أن يتلقوا أية معونة من العالم الإسلامى.

ونشرت جريدة «أزفستيا» فى عددها الصادر ١٥ يوليو سنة ١٩٢٢ تقريرا للرفيق كالينين عن مجاعة القرم (نتيجة نقل الروس ما فى الجزيرة من أقوات ليضطروهم للتسليم).

بلغ عدد الذين أصابتهم محنة الجوع فى شهر يناير ٣٠٢,٠٠٠ مات منهم ١٤,٤١٣ ارتفع عددهم فى شهر مارس ٣٧٩,٠٠٠، مات منهم ١٩,٩٠٢، بلغ فى أبريل ٣٧٧,٠٠٠ مات منهم ١٢,٧٥٤ وفى يونية ٣٩٢,٠٧٢ (ولم يذكر كم مات فى هذا الشهر). وقد كان سكان القرم فى سنة ١٩١٧: ٥ ملايين

فى سنة ١٩٤٠ : ٤٠٠ ألف فقط (أقل من عشر السكان) . وكانت المساجد ١٥٥٨ مسجدا . ولم يبق منها إلا العشرات .

● لجأت الثورة الشيوعية بعد أن استتب لها الأمر . . إلى نفى شعوب بأكملها ليحل محلها الروس ، وفى بيان لوكيل الجامع الأزهر ورئيس جامعة الكفاح الإسلامى أرسل إلى الأمم المتحدة . . قدم بعض المهاجرين من الحكم البلشفى الغاشم بعض الحقائق نذكر منها :

(أ) فى التركستان وحدها قتل الشيوعيون سنة ١٩٣٤ مائة ألف مسلم ونفوا ثلاثمائة ألف مسلم ومات ثلاثة ملايين جوعا نتيجة استيلاء الروس على محاصيلهم وأعطتهم للصليبيين ليحلوا محلهم . . وفيما بين سنة ١٩٣٧ – ١٩٣٩ ألقت القبض على ٥٠٠ ألف مسلم أعدمت منهم فريقا ونفت الباقى .

وقتلوا من علماء الدين : الشيخ برهان البخارى قاضى القضاة ، والشيخ خان مروان مفتى بخارى ، والشيخ عبدالمطلب داملا ، والشيخ محسوم متولى ، والشيخ عبد الأحد دار خان ، والشيخ الحاج ملا يعقوب ، والشيخ ملا عبد الكريم ، وغيرهم كثيرون . . ومن الساسة : خوجة نياز رئيس الجمهورية ، ومولانا ثابت رئيس الوزراء ، وشريف حاج قائد مقاطعة ألماتا ، وعطمان أوراز قائد مقاطعة كاشغر ، ويونس بك وزير الدولة ، والحاج أبو محسن وزير التجارة ، وطاهر بك رئيس مجلس النواب ، وعبد الله داملا وزير الأشغال .

وفى سنة ١٩٤٩ هرب ٢٠٠٠ (ألفا شخص) منهم ١٢٠٠ لقوا حتفهم فى الطريق ، وفى ١٩٥٠ هرب ٢٠,٠٠٠ مسلم . . قتلت روسيا منهم سبعة آلاف .

(ب) فى القرم قتلوا سنة ١٩٢١ مائة ألف مسلم جوعا . سنة ١٩٢٨ قتلوا ولى إبراهيم رئيس الجمهورية مع وزرائه ، سنة ١٩٣٠ قتلوا محمد قوباشى رئيس الجمهورية وجميع وزرائه ، سنة ١٩٣٧ قتلوا الياس طرخان رئيس الجمهورية مع جميع وزرائه بعد استدعائهم إلى موسكو أثناء محاكمة المارشال تحاتشنفسكى .

● **نصوص فى دستور الاتحاد السوفييتى** : فى دستور سنة ١٩١٨ نص على أن حرية الدعاية الدينية واللادينية مكفولة للجميع . وعدل فى سنة ١٩١٩ إلى : حرية إقامة الشعائر الدينية وحرية الدعاية اللادينية مكفولتان لجميع المواطنين .

فى دستور سنة ١٩٣٦ (المادة ١٢٤) لكى يستمتع المواطنون بحرية الضمير تفصل الكنيسة فى الاتحاد السوفيتى عن الدولة، والمدرسة عن الكنيسة، ويكفل لجميع المواطنين حرية الدعوة ضد الدين..

وفى المادة (١٢٢) من القانون الجنائى السوفييتى تحريم تلقين الأطفال الأحداث العقائد الدينية فى مدارس الحكومة أو المدارس الخاصة أو المعاهد التعليمية المختلفة. وواضح من هذه النصوص:

١ - التفرقة الظالمة بين حرية الأديان وحرية الإلحاد، فالأولى قاصرة على مباشرة الشعائر الدينية (أن صدقوا فيها)، والثانية ممتدة إلى حرية الدعوة والدعاية ضد الدين.

٢ - تنتهى حرية التدين إلى مجرد شعائر بغير مضمون ولا تطبيق إذا راعينا النص الجنائى الذى يحرم تلقين الأطفال العقائد الدينية فى مدارس الحكومة أو المدارس الخاصة أو المعاهد التعليمية المختلفة فمن أين يأتى لهم التدين الذى يسمح الدستور (المحترم) بممارسة شعائره.

* * *

ثانياً: المسلمون فى الصين

كانوا يسكنون تركستان الشرقية ومساحتها عشرة أمثال مساحة سوريا (أكثر من مليون ونصف كم٢). وكانت اللغة العربية هى السائدة فيها أيام الفتح الإسلامى ثم سادتها الفارسية ثم التركية والآن تفرض عليهم اللغة الصينية.

ويمثل المسلمون فيها الآن أكثر من ٧٥٪ من سكانها.

ويمثلون فى الصين كلها أكثر من ٧٥ مليون يتوزعون بعد ذلك فى المناطق الساحلية خاصة المراكز الكبرى مثل: كلنتون وشنغهاى ومدن شانتونج[١].

وفى حديث لرئيس وزراء الصين الشيوعية لأحد وزراء العرب عام ١٣٨٥هـ أن: «الصين بها عشرات الملايين من المسلمين، ورغم جهلهم بالإسلام فإنهم أقرب إليكم منا».

انظر الملحق رقم ٢ عن بعض وسائل نشر الإلحاد ومحاربة الدين فى الاتحاد السوفييتى.

(١) راجع كتاب «المسلمين تحت السيطرة الشيوعية» ص ٣٢.

ولنعرف حال المسلمين هنا:

ونأخذ منها مثلاً واحداً.. ما نشرته صحيفة «تمد بات باد» فى هونج كونج فى عددها الصادر فى ١١ أكتوبر سنة ١٩٦٦ وهو منشور موجه إلى الحرس الأحمر جاء فيه: «يا رجال الحرس الأحمر.. لا يمكن أن ندع عدوا من أعدائنا يهرب، وعلينا من الآن فصاعدا أن نهاجم أكثر الأعداء تخفيا من المسلمين الذين يقومون بنشاط ضد الحزب وضد الصينيين تحت قناع الدين المزعوم.

من الآن فصاعدا لن يسمح لكم بأن تضعوا قناعكم الدينى على وجوهكم، سنطردكم وندمركم. ومن الآن فصاعدا لن يسمح لكم بأن تأكلوا لحم الأبقار لأن الأبقار تخدم الشعب، يجب أن تأكلوا لحم الخنزير.. ولا يمكنكم من الآن فصاعدا أن تضيعوا وقتكم فى الصلاة..

يجب ألا تتكلموا اللغة العربية التى هى ضد اللغة الصينية.

ولن يسمح لكم بأن تقرأوا ما يسمى بالكتاب المقدس (القرآن).

اسمعوا أيها المسلمون...

- دمروا جوامعكم - حلوا المنظمات الإسلامية، احرقوا القرآن..

- الغوا الحظر الذى وضعتموه على الزواج المشترك.

- كفوا عن الصلاة..

- الغوا الختان..

- ادرسوا أفكار ماو..

- إذا لم تندمجوا سنطردكم وندمركم، يجب أن تسكنوا جحور الجرذان وندمرها معكم.

فلتحيا الثورة الثقافية الكبرى.. فليحيا طويلا طويلا الرئيس ماو»[١].

---

(١) مجلة الوعى الإسلامى عدد أكتوبر سنة ١٩٦٦ وأشار إليه كذلك الشيخ محمد الغزالى فى كتابه القيم «الإسلام فى وجه الزحف الأحمر».

هذا ما بلغنا ونحسب أن ما لم يبلغنا أعظم.. ولنا أن نتصور بعد ذلك حياة إخواننا المسلمين هناك، تحت جحيم الحكم الشيوعى الكافر.

* * *

ثالثًا: المسلمون فى بلاد شيوعية أخرى

مثل بلغاريا وغيرها.

ففى كل هذه البلاد حكم شيوعى، يكتم أنفاس المسلمين، ويستذلهم ويحاول سلب ما بقى لديهم من مقومات الدين، والعفة، والشرف.

● **خاتمة:**

وبعد الحديث عن الأرض السليبة فى الأندلس، وفلسطين، والأراضى الخاضعة للنفوذ الشيوعى.. نجد أن الأعداء الثلاثة: الصليبية والصهيونية والشيوعية قد أنشبت أظافرها فى رقاب العالم الإسلامى، واحتلت ترابه، وطردت أهله ومارست معهم حروب الإبادة، ومن بقى يعيش تحت سلطتهم عيش الذليل الكسير!

والأراضى السليبة الآن تمثل أكثر من ربع مساحة العالم الإسلامى، والعالم الإسلامى لا يزال يغط فى نومه الذى غط فيه منذ قرنين أو يزيد..!

واستلاب الأرض لا يوقظه... وحمامات الدم لا تثيره... وانتهاك الحرمات. والمقدسات لا تحركه..

وأدعياء الوطنية والقومية يتاجرون بالشعارات، ودعاة الصلح والاستكانة يتربعون على كراسى الحكم ويتصدرون مواقع الزعامة... والشعوب لاهثة وراء لقمة العيش، أو لاهية فى الترف الداعر!

والذين اغتصبوا والذين ساعدوا على الاغتصاب مطمئنون إلى مستقبلهم فوق أرض الإسلام، فوق جماجم الشهداء ودماء الضحايا وزفرات المستضعفين!

وإلى الله وحده نشتكى.. وفى كتائب الإسلام التى نراها حينا بعين الخيال وحينا بعين الواقع، فيها وحدها، بعد الله الأمل!

* * *